المحاولات الإصلاحية للأخوين جراكوس وانعكاساتها على الأوضاع العامة للجمهورية الرومانية (133–121 ق م).

أ. عمر بوصبيع جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

The Reform Attempts of the brothers Gracchus and their Impacts on the General circumstances of the Roman Republic (133–121 BC).

P. Amor Bousbia

ملخص:

إن استفراد الطبقة الارستقراطية في روما منذ بداية العصر الجمهوري كان له آثار سلبية عديدة على أوضاع العاصمة روما بصفة خاصة، وجميع مناطق نفوذها بصفة عامة. وتمثلت تلك الأثار في تهميش الفئات الأخرى للمجتمع الروماني وتحديدا طبقتي العامة ، وكذلك سكان المدن الإيطالية الذين كان يطلق عليهم تسمية اللاتين أو الحلفاء والذين كانت روما ترى أنهم رعايا يعيشون في كنفها وليسوا مواطنين مساوين للرومان في الحقوق المدنية. غير أنه من رحم طبقة النبلاء نفسها ظهرت دعوات لإصلاح هذه الأوضاع خلال النصف الثاني من القرن الثاني ق م. تزعم هذه الحركة الإصلاحية في البداية تيبريوس جراكوس Tiberius Gracchus سنة 133 ق م الذي انتخب

تربينا Tribun للعامة في هذه السنة، وكذلك أخوه كايوس جواكوس Caius Gracchus الذي وصل الى منصب التربيونية سنة122 ق م. وفي حقيقة الأمر فإن الأخطاء القانونية أو الدستورية التي ارتكبها الاخوان جراكوس في البداية وانتهازية الطبقة العامة وكذلك سكان إيطاليا، جعلت مجلس الشيوخ وبالتعاون مع النبلاء وأثرياء روما يجهضون هذه الحركات الإصلاحية ويتخلصون من زعمائها في نهاية الأمر. نتيجة لذلك ازدادت الأوضاع في الجمهورية الرومانية سوء مما أدى بعد ذلك الى خوض الرومان حروبا فيها بينهم عرفت في التاريخ القديم بالحروب الأهلية الرومانية.

The abstract:

The self-handing despotism of the aristocratic class in Rome since the beginning of the republican era has had many negative effects on the situation of the capital, in particular, and of all its obedience's in general. These affects illustrated in the marginalization of the other categorys of Roman society, namely the public class, as well as the Italian city dwellers, who were known as Latin or Allies, who are considered by Rome as citizens living and not equal of the Romans in civil rights. However, from the womb of the noble class itself many reform calls had appeared to reform these conditions during the second

half of the second century BC. This reform movement was initially led by Tiberius Gracchus (133 BC), who was elected as a Tribune that year, as well as his brother Caius Gracchus, who had reached to tribune ship the year 122 BC. Indeed the legal or constitutional errors which were committed by the Brothers Gracchus at the outset, and the opportunism of the public class, as well as the inhabitants of Italy made the Senate in cooperation with the noblemen and the rich of Rome abort these reform movements and eventually dislodge their leaders. Consequently, the circumstances in the Roman Republic was getting worse and worse , leading at the end to many wars among the Romans, which known in ancient history as the civil wars .

مقدمة:

حين تخلص الرومان من الملكية نهاية القرن السادس ق م أقروا لأنفسهم نظاما سياسيا جديدا عرف بالنظام الجمهوري، استطاعوا من خلاله ضبط أمور دولتهم الداخلية والتوسع في شبه جزيرة إيطاليا وخارجها في عدة مناطق في حوض البحر المتوسط. غير أن هذه النجاحات الخارجية لم تعكس تماسكا في الجبهة الداخلية على الأقل إلى غاية الثلث الأخير من القرن الثاني ق م حين ازداد الشرخ اتساعا بين طبقات المجتمع الروماني، وذلك من خلال تفرد طبقة الارستقراطيين، التي كان أفرادها يسيطرون على مجلس الشيوخ أو السيناتو،

بإدارة شؤون الدولة واستئثارها بخيراتها من خلال احتكار بعض الاسر النبيلة لمنصب القنصلية وتداوله فيما بينها.

ورغم اشتراك طبقة الفرسان، وهي الطبقة التي تلي النبلاء، في العديد من شؤون الحكم كونها تتكون من رجال أعمال أغنياء زاد في ثرائهم تقلدهم لمراتب ومناصب عليا في الدولة، إلا أن طبقة العامة ظلت طوال هذه المدة، التي اتسعت فيها رقعة الجمهورية الرومانية، المتضرر الأكبر من بين فئات المجتمع الروماني. فإذا كان الارستقراطيون والفرسان قد استفادوا من الحروب والتوسعات الخارجية على حساب الشعوب المجاورة، من خلال الاستحواذ على المزيد من الأراضي والحقول، فإن طبقة العوام من الرومان وكذا سكان المدن الإيطالية بمختلف أطيافهم لم يكونوا سوى وقودا لهذه الحروب ويمكن القول أنهم تضرروا منها أكثر مما انتفعوا، وذلك من خلال عدم قدرتهم على استئناف العمل في حقواهم وبساتينهم بعد عودتهم من جولات الحرب التي تدوم أحيانا موسمين متتاليين، وبذلك صار العوام غير قادرين على التكفل بمتطلبات خدمة الأرض مما يضطرهم في الكثير من الأحيان لبيعها للأرستقراطيين والتوجه من الأرياف الى العاصمة روما ليزيدوا من عدد البطالين فيها.

وإزاء هذه الوضعية التي كانت تدفع الرومان شيئا فشيئا نحو الانقسام والتصادم، ظهر بعض المنادين بالتغيير عن طريق طرح مشاريع إصلاحية ذات صبغة اقتصادية، لكنها لا تخلوا من إضافات سياسية، والغريب في الامر أن

هـؤلاء المصـلحين خرجـوا مـن طبقـة النـبلاء نفسـها فطـرح المشـروع الأول سـنة 133 ق م مــن طــرف تيبيريــوس جراكــوس أمــا المشــروع الثــاني فطرحــه أخــوه كــايوس جراكـوس سـنة 122 ق م. ومـن هنـا ارتأينـا إلى طـرح التسـاؤلات التاليـة: فيمـا تمثـل مضــمون هــذه المشــاريع؟ ومــا الخطــوات القانونيــة الــتي اتبعهــا أصــحابها مــن أجــل إقرارهــا وتثبيتهــا؟ ومــا موقــف طبقــات المجتمــع الرومــاني المختلفــة منهــا؟ ومــا كــان مصــيرها ومصــير أصــحابها ؟وكيــف أصــبح حــال الرومــان بعــد فــترة محــاولات الإصلاح هذه؟

تيبيريوس جراكوس ومشروعه الإصلاحي.

لم تكـن تلـك الأوضـاع الـتي آلـت إليهـا الجمهوريـة تـروق للكثـير مـن الرومـان مـن الطبقة العامة، بل وحتى قسما من طبقة النبلاء أنفسهم الذين أدركوا وببصيرة حادة أن هـذا المسـار سـيؤدي حتمـا بالأمـة الرومانيـة إلى التـدهور وإضـطراب الأوضـاع والحـروب الأهليـة وهـو مـا وقـع فعـلا. وبـذلك انقسـم النـبلاء إلى فـريقين، فريـق مـن المحـافظين (Optimates) وهو الفريق الممسك بزمام الأمور في السيناتو والواقف دوما في وجه أي إصـلاح لصـالح الطبقـة العامـة والشـعب الرومـاني عمومـا، وفريـق آخـر مـن الشـعبيين (Populares) يدعو إلى إصلاح الأوضاع قبل إستفحالها[1].

وظهـر الصـراع جليـا بـين هـذين الفـريقين سـنة 133 ق.م حـين طـرح تيبيريـوس جراكوس (Tiberius Sempronius Gracchus)[2] الذي كان يشغل منصب تريبون* العامـة لتلـك السـنة مشـروعا لحـل مشـكلة الأراضـي مـن خـلال تحديـد مسـاحة

الأرض المملوكة لكل شخص وتوزيع الفائض منها في الأرياف الإيطالية على صغار الفلاحين بغرض إعادة بناء الطبقة الوسطى التي تآكلت جراء الحروب واستغلال الملاك الكبار من الأرستقراطيين لظروف الحرب وأخذ أجزاء كبيرة من الأرض لصالحهم.

إن الحقيقة التي استطاع تيبيريوس جراكوس ومن يسانده من طبقة النبلاء التوصل إليها هي أن تزايد أملاك الأثرياء كان له آثار سلبية على المجتمع الروماني من جميع النواحي، فالأغنياء إستعملوا لخدمة تلك الأراضي العبيد كونهم غير ملزمين بأداء الخدمة العسكرية، وكان تزايد عدد العبيد في تلك البساتين على حساب عدد الأحرار الذين فقدوا أملاكهم ولم يعد لهم أي شغل بعد آداء الخدمة العسكرية سوى الفراغ والبطالة. وبذلك كانت النتيجة هي تضاؤل عدد الأحرار الذين يمثلون عمود الجيش الروماني وهوالخطرالأول، وكذلك زيادة عدد العبيد الذي سبب فيما بعد مشاكل للرومان حين ثاروا على أسيادهم مثل ماحدث في صقلية.[3]

لم يكن تيبيريوس جراكوس صاحب مشروع الأرض هو أول من نادى به ولكن هناك من سبقه إليه من الرومان، فأبيانوس يقول إن بعض المحامين وجدوا صعوبات في تمريرهذا القانون الذي يمنع أي مواطن من تملك أرض تتجاوز مساحتها 500 يوجيرا ولا عددا من الماشية يفوق 100 رأس من الكبيرة و500 رأس من الصغيرة، كما يلزم هذا القانون الملاك بإستعمال عدد محدد من الأحرار[4]. أما بلوتارخوس (Plutarque) فيتحدث عن مخاوف ساورت كايوس لوليوس (Caius Lulius) صديق سيكبيو (Publius Cornelius Scipion) من ثورات وتمردات جراء كثرة عدد العبيد في

إيطاليا الذين يستعملهم الأثرياء، وعزوف الإيطاليين الأحرارعن إنجاب الأولاد مخافة تكاليف نفقتهم[5]. لكنه على ما يبدو فإن تيبيريوس جراكوس كان أكثر إصرارا وحزما ممن سبقوه في عرض هذا المشروع، وأن الظروف قد تهيأت له لتمرير مشروعه عن طريق التصويت في المجالس الشعبية لأن المشهد صار في إيطاليا مشحونا إلى أبعد الحدود بعد إلقاء تيبيريوس جراكوس لخطاب أمام الشعب أثناء حفل تنصيبه كتربيون للعامة سنة 133 ق.م، حيث أثنى على كل شعب إيطاليا الذي أوضح أنه تربطه بسكان روما أواصر قربى، وأن هذا الشعب قدم خدمات كثيرة للجيش الروماني أثناء حملاته العسكرية، هذا الشعب صار حسبه في وضعية بؤس قد تؤدي به إلى الهلاك ، ووضعيته تلك تزداد سوء دون أن يرى بصيص أمل في ظروف أحسن[6].

لم يتوان جراكوس في خطابه هذا في تحديد القانون الذي يلزم كل مواطن أن لايملك أكثر من 500 يوجيرة، ونصف تلك المساحة لكل إبن من أبنائه شريطة ألا تتجاوز ملكية العائلة 1000 يوجيرة وهو ما يعادل مساحة 250 هكتار، وحددعدد الرؤوس الكبيرة التي يمكن أن يملكها أي مواطن، وكذلك الرؤوس الصغيرة كما جاءت في مشاريع من سبقه مع إلزام المالكين بإستعمال عدد من العمال الاحرار[7]. وأضاف تيبيريوس إلى التدابيرالقديمة أن ثلاثة من المواطنين يعينون كل سنة من أجل توزيع الأراضي على المواطنين في حين أن إسترجاع القطع الزائدة من أملاك الأثرياء سيكفلها القانون[8].

لقد إختلف مؤرخو سياسة الرومان في تحليل خطاب تيبيريوس ومن ثم تقييم شخصيته، ففي الوقت الذي صوره أبيانوس كوطني إيطالي حريص على بقاء طبقة الجنود،

أعطاه بلوتارخوس صورة الديماغوجي الذي يريد تهييج العامة، أما السياسي شيشرون (Cicéron) فقد وصف هذا الخطاب بالرائق والرصين[9] .

لم يكن الطريق معبدا لتمريرهذا القانون، فأول عقبة واجهت التصويت عليه هو اعتراض زميل تيبيريوس في التربيونية وهو ماركوس أكتافيوس (Marcus Octavius) ، ولا يمكننا الجزم بسبب هذا الإعتراض والإصرار عليه فهناك من ذهب إلى أنه بتحريض من كبار أعضاء السيناتو، [10] وهناك من أورد أن أكتافيوس نفسه كان من ذوي الأملاك الكبيرة، [11] فهو بذلك أول المتضررين من إصدار هذا القانون . وحين عجز تيبيريوس جراكوس عن إقناع زميله عن العدول عن اعتراضه وجه تصويت القبائل إلى خلع زميله من منصبه وفي كل مرة يتم فيها تصويت إحدى القبائل الخمسة والثلاثين كان جراكوس يعود إليه ويترجاه العدول عن رأيه إلى أن صوتوا بالأغلبية على خلعه[12].

أُنتخب كانتوس مومينوس (Quintus Memmius) بديلا لأكتافيوس ووافقت بعد ذلك الجمعية القبلية على مشروع تيبيريوس وأصبح قانونا يعرف بإسم سمبرونيوس الخاص بالأراضي (Lex Sempronia agraria).[13] وبذلك نجح جراكوس في تمرير قانونه بغض النظر عن الإجراء الذي قام به والخاص بخلع زميله من الناحية الدستورية، فهناك من ذهب إلى أنه إجراء غير دستوري لكون القناصل والمحامين والمنتخبين للوظائف في جهاز الدولة لا يمكن لأحد أن يعزلهم حتى الجمعية التي انتخبتهم قبل انتهاء عهدتهم، إلا إذا إستقالوا طواعية ، ويمكن للدولة أن تحاسبهم بعد إنتهاء مدتهم القانونية [14].

كان أمام تيبيريوس جراكوس بعد إستصدار القانون وتمريره في الجمعية القبلية تحدِيَيْنِ إثنين وهما: من يقوم بتنفيذه والوقوف على تطبيقه؟ وكيف يتمكن من تمويل التكاليف المترتبة عن تطبيقه؟ ، لكن إصرار تيبيريوس وتحمسه لقانونه ومُضِّيهِ إلى الأمام والتفاف العامة من حوله جعله يقوم بتعيين نفسه وأخيه كايوس جراكوس (Caius Gracchus) وصهره أبيوس كلوديوس (Appius Claudius) أعضاءًا للجنة الثلاثية المنوط بها تنفيذ بنود القانون من حيث إنتزاع الأراضي الزائدة عن المقدارالمحدد وتوزيعها على مواطني الطبقة العامة .[15]

أما بالنسبة للتحدي الثاني ، وأمام رفض السيناتو تمويل المشروع كدعم الملاك الصغار الجدد بالماشية وما يحتاجونه من أدوات للزراعة، وتزامن ذلك مع موت أتالوس الثالث (Attalus III) ملك برغام (Pergame) و كانت وصيته أن تؤول إلى روما مملكته وكنوزه [16]، فقرر حينها تيبيريوس إستغلال الفرصة وقام بإستصدار قرار شعبي يعنى بتخصيص جزء من هذه التركة التي أوصى بها أتالوس الثالث للشعب الروماني لدعم الفلاحين الصغار رغم أن هذا العمل كان من صلاحيات السيناتو منذ أمد بعيد. ويكون بذلك تيبيريوس قد تدخل في الإشراف على أموال الدولة والشؤون الخارجية لها [17] .

لقد بلغ تيبيريوس جراكوس هدفه من خلال تمرير القانون وتعيين اللجنة الثلاثية التي ستسهر على تطبيقه وكذلك الإعتمادات المالية المخصصة له، لكن سلاح الوقت لم يكن في صالحه فمدة تريبونيته لن تدوم طويلا وهي في أقصى الحالات لن تتجاوز السنة كما هو النظام المعمول في روما سواء بالنسبة للقناصل أو الترابنة. ولذلك فقد قرر

خصومه الذين لم يستطيعوا الوقوف صراحه ضد طموحات الشعب، محاربته في إطار ما يسمح به الدستور، وعزموا أمرهم على عدم إعادة انتخابه مرة أخرى خاصة و أن المواطنين الذين جاؤوا من الأرياف وصوتوا على قانونه سيكونون مشغولين بالعمل في أراضيهم، لأن الإنتخابات لتربيونية سنة 132 ق م ستكون في فصل الصيف وهو فصل الحصاد ولا يمكن لهؤلاء الفلاحين العودة إلى روما من جديد والتصويت لصالح التجديد لتيبيريوس جراكوس.[18] هذا الأخير الذي قرر ترشيح نفسه لتولي تلك الوظيفة ثانية من أجل إستكمال تنفيذ القانون وكذلك من أجل حماية نفسه من المتابعات بعد إنتهاء مدته وسقوط الحصانة عنه [19].

لم يعد أمام تيبيريوس سوى المضي قدما من أجل الظفر بتربيونية عام 132 ق م لحماية نفسه من أي خطر يمكن أن يتعرض له بعد إنتهاء عهدته ولذلك سعى لدعوة العامة في روما واحدا واحدا لحضور الجمعية كما يروي ذلك أبيانوس ونجح في حشد ما يكفي يوم الإنتخاب وبدأت القبائل تصوت، [20] لكن الأغنياء العازمين على الوقوف في وجهه إشتكوا أن القوانين لا تسمح بأن يتولى نفس المواطن التربيونية مرتين متتاليتين وهو أمر محظور بمقتضى قانون ڤيلليوس(lex Vallia Annalis) الصادر سنة 180 ق م، ورغم أنه ليس من المؤكد أن هذا القانون كان يقصد به التربيونية إلا أنه لم يحدث أن ترشح أحد للتربيونية مرتين منذ زمن بعيد. ورغم ذلك نجح الأرستقراطيون في التشويش على الإنتخاب.

بدأت العملية في تل الكابيتول (Capitole) وتأجلت ليوم الغد، وفي اليوم التالي أَصَرَّ النبلاء على عدم ترشيح تيبيريوس لنفسه مرة أخرى ونشب خلاف بين ترابنة العامة، وبين من أنحاز إليهم ومن إنحاز إلى تيبيريوس.وفي تلك الأثناء أعطى تيبيريوس إشارة إلى أنصاره أجمع الكثير من المؤرخين على أنها فُهِمَتْ خطأً منهم على أنه إذن لهم بإستخدام العنف، مما أدى إلى وقوع شغب شديد تسبب في مناوشات مما دفع بهروب بعض ترابنة العامة من الجلسه ولحق بهم النبلاء، وانتشرت شائعات تفيد بأن تيبيريوس عزل باقي الترابنة وعين نفسه تربيونا للعام الموالي دون إنتخابات [21] .

كان السيناتو مجتمعا في تلك الأثناء في معبد ربة الإيمان (Le temple de Fides) القريب من الكابيتول الذي وقعت فيه الأحداث، ووصل إلى أسماع أعضاء السيناتو ما وقع في جلسة جمعية القبائل مع بعض التهويل من أن جراكوس يطمع في تنصيب نفسه طاغية و طلبوا من القنصل ماسيوس سكاوڤيلا (Mucius Scaevola) أن ينقذ الدولة ويقضي على الطاغية ، لكنه رفض، [22] وحينها غضب المتطرفون من رجال السيناتو، وإندفعوا في عدد كبير من أتباعهم وعبيدهم على رأسهم كورينولوس سكيبيو ناز يكا (Cornelius Scipion Nasica) [23] الكاهن الأكبر والقنصل السابق إلى الكابيتول لإنقاذ الوطن حسب زعمهم. [24] وهاجموا تيبيريوس وأنصاره الذين فر فريق منهم أثناء الشغب الذي وقع قبل مجيء أعضاء السيناتو وفريق آخر فر خوفا من رهبة الكاهن الأكبر والجمع الغفير الذي جاء معه مما سهل لسكيبيو نازيكا ومن معه التغلب على تيبيريوس وأنصاره وصرعوهم عند باب معبد جوبيتير أو

الكابيتول بالقرب من تماثيل ملوك روما القدماء، ثم ألقوا بجثث القتلى في نهر التبر [25] (le Tibre) .

كايوس جراكوس وإعادة بعث مشاريع الاصلاح.

لم يعد السيناتو ومن يمثله من النبلاء والعوام في روما اللاعبان الوحيدان في المشهد السياسي فقد دخل على الخط لاعبان آخران مهمان وهما الحلفاء اللاتين أوالمجتمعات اللاتينية الحليفية وكذلك طبقة الفرسان التي كان لها دور فعال في الفترة التي تلت موت تيبيريوس. أما الحلفاء اللاتين فإن قوانين الإصلاح الزراعي الصارمة قد أزعجتهم كونهم كانوا يحوزون أراضي شاسعة منحهم إياها الرومان ليستغلوها حسب حاجتهم بشرط دفع إيجارعنها للدولة الرومانية، وبعد إنتصار الرومان على تلك المجتمعات اللاتينية ومنحهم صفة الحلفاء سمحوا لهم بالمشاركة فرادى في استغلال الأرض العامة وشيئا فشيئا أصبح الكثير من الحلفاء اللاتين والإيطاليين من بين أرباب الحيازة [26].

وبما أن هؤلاء الحلفاء كانوا أصلا مستاءين من معاملة روما لهم كونها استغلتهم ولفترات طويلة في حروبها ولم تمنحهم حق المواطنة، والذي يترتب عنه حق التصويت والتظلم إذا إقتضى الأمر. و بما أن أمر التحقيق في الملكيات التي يحوزونها سيوكل لثلاثة من الرومان بعد إستبدال تيبيريوس جراكوس وصهره كلوديوس أبيوس بكل من ماركوس فيلفوس فلاكوس (M.Fulvius Flaccus) وكايوس بابيريوس كاربو (C.Papirius Carbo) وبقي العضو الثالث كايوس جراكوس شقيق تيبيريوس. وبذلك هرع الكثير من الحلفاء اللاتين إلى روما لطرح شكواهم على السيناتو وهم واثقين

من تأييده لهم كون هذا المجلس يبحث عن سبب لإفشال مشروع الإصلاح ذاك، وبما أن مصالح اللاتين تقاطعت مع مصالح النبلاء فاللاتين كانوا يخشون أن تنتزع منهم أراضيهم وتمنح للمواطنين الرومان بمقتضى قانون جراكوس ، والنبلاء كانوا يبحثون عن مبرر قوي يُمَكِّنُهم من تعطيل هذا المشروع خاصة وأنهم لم يستطيعوا تعطيله لعدم هدوء الطبقة العامة بعدما فعلوه بتيبيريوس وأنصاره، وبذلك وجدوا الذريعة لحرمان اللجنة الثلاثية من سلطاتها القضائية وإسنادها إلى أحد قنصلي سنة 129 ق م وهو كايوس سمبرونيوس توديتانوس (C.Sempronius Tuditanus) الذي ما لبث أن قاد حملة تأديبية على إستريا (Istrie)[27] و بذلك تعطلت اللجنة الثلاثية ولم تَرَ النورإلى سنة 123 ق م بعد إنتخاب كايوس جراكوس نقيبا للعامة[28] .

أما الطرف الثاني الذي إخترق المشهد السايسي وبقوة فهو طبقة الفرسان المكونة من ملاك الأراضي الأثرياء ورجال الأعمال، وكان الحد الأدنى لثروة الواحد منهم 400,000 سسترتيوس**(Sestertius) ، هذه الطبقة التي كانت تطمح في آداء دور منافس لدور رجال السيناتو من النبلاء والتي ظلت تبحث عن فرصة لتتموقع في هرم السلطة الرومانية إلى أن لاحت لها تلك الفرصة حين عاد حاكم ولاية آسيا سنة 126 ق م وأقيمت علية دعوى إبتزاز، لكن محكمة إسترداد الأموال المشكلة من محلفين من طبقة النبلاء ورجال السناتو برأته من التهمة رغم ثبوت رشوته ، الأمر الذي دعى الفرسان إلى تأييد ترشح فيلقيوس فلاكوس (وهوصديق تيبيريوس) إلى القنصلية سنة 125 ق م فكانت الإنطلاقة من جديد لمعارضي السيناتو والذين لم يتخلوا على

حلفائهم من طبقة الفرسان، وتمثل ذلك في منحهم عضوية محكمة الإبتزاز وتكليفهم بجمع الضرائب في الولايات بعد ذلك، مما زاد من قوة وثراء تلك الطبقة[29] .

فاز فيلقيوس فلاكوس، والذي سبق و أن أشرنا أنه أحد أعضاء اللجنة الثلاثية لتطبيق القانون الزراعي، بالقنصلية سنة 125 ق م وتقدم بمشروع يمنح من خلاله الجنسية الرومانية وحق المواطنة للاتين والإيطاليين ومنح من لا يرغب منهم في الإندماج حق التظلم من أحكام المندوبين الرومان، وحسب ما أشار إليه أبيانوس فإن حق المواطنة كان بالنسبة للحلفاء اللاتين أهم من القطع الأرضية التي كانوا يملكونها وأنهم مستعدون للتنازل عنها مقابل هذا الحق [30] . غير أن المشروع لم يَلْقَ تأييدا من قبل السيناتو الذي رفض أن يرفع أشخاصا كان يراهم رعايا له إلى درجة مواطنين رومان، وكذلك من قبل طبقة العوام التي لم تكن تريد للإيطالين والحلفاء مشاركتها فيما تملك من حق التصويت وما سيعود عليها من حق تملك الأراضي.

لم يلبث فيلقيوس فلاكوس أن رحل إلى جنوب غالة للدفاع عن ماسيليا (Massilia) من هجمات قبائل السالوقي (Salluvi) [31].وقبل أن تنتهي سنة 125 ق م حتى ظهر رد فعل الحلفاء اللاتين الذي تمثل في ثورة فرجلاي (Fregellae) وهي إحدى المستعمرات الرومانية الكبيرة ولكن روما سرعان ما قضت على ذلك التمرد وأخمدته [32].

في سنة 124 ق م كان كايوس جراكوس قد عاد من مهمة بروكيستر (Proquesteur) في سردينيا (Sardaigne) [33] والتي ذهب إليها منذ ثلاث

سنوات برفقة القنصل أوريستاس (Orestès)، وحسب رواية بلوتارخوس فإن تلك البعثة لم تكن بادئ الأمر تروق لكايوس لكنه وجد فيها فرصة لصقل مواهبه العسكرية وتعويد نفسه على الصعاب والشدائد ،وكذلك الإبتعاد عن الجو القاتم الذي كان يسود روما بعد مقتل أخيه تيبيريوس ، وكانت في نفس الوقت فرصة لأعدائه الأرسقراطيين لإبعاده عن الأحداث الدائرة في العاصمة خاصة وأنه لا يزال عضوا في اللجنة الثلاثية التي عينت سابقا ، وكذلك إبعاده عن صاحبه فيلقيوس فلاكوس الذي تولى القنصلية سنة 125 ق م وتم إرساله هو الأخر إلى ماسيليا.[34]

كانت قد ظهرت على كايوس جراكوس قبل الذهاب إلى سردينيا قدرات خطابية أظهرها في مرافعات دافع بها عن أصدقائه أمام محاكم الشعب وخاصة صديقه ڤيتيوس (Vettius) مما أثار إعجاب الجمهور به وخشية الأغنياء من ترشحه للتربيونية وإزعاجهم من جديد [35] .

وعلى كل حال فإن كايوس قد إستفاد من تلك الرحلة سواء على الصعيد الشخصي أو على الصعيد السياسي، فقد أثبت هناك تفوقا على أقرانه من الشباب في الشجاعة والإقدام والتواضع لمن هم أقل منه مرتبة، فظفر بحب الجنود الذين كانو من المواطنين الرومان واللاتين. فلم يكن من أولئك الذين يلهثون وراء المال والنهب في حروب الرومان، فهو من قال على نفسه عقب عودته من سردينيا :<< أنا الوحيد في الجيش الذي ذهب وجيبه مليء وعاد وجيبه فارغ، في حين أن كل الأخرين وبعدما أفرغوا ما لديهم عادوا بجيوب مليئة بالذهب والفضة [36] >>. فاز كايوس من خلال هذه

البعثة بحب مواطنيه الرومان وكذا من كانوا معه من الإيطاليين اللاتين، وعاد إلى روما دون رخصة مما عرضه للمحاكمه، غير أنه إستطاع الدفاع عن نفسه مستدلا بأنه خدم في الجيش إثنا عشر سنة كاملة بدلا من عشر سنوات وهي المدة التي ينص عليها القانون [37] .

كما أنه إستطاع الدفاع عن نفسه من التهمة التي لُفِّقَتْ له من خلال إثارة شعب فرجلاي اللاتين على روما، ودحض كل التهم الموجهة إليه والشكوك التي حيكت ضده، ثم تقدم في أواخر سنة124 ق م للترشح للتربيونية حيث عارضه النبلاء لكن الجموع التي جاءت من كل إيطاليا لتنتخبه استطاعت ترجيح كفته، وغصت ساحة مارس (Champ de Mars) بهم وكل ما إستطاع السناتو فعله هو إعلان فوزه في المرتبة الرابعة بين ترابنتة ذلك العام رغم أنه كان جديرا بالمرتبة الأولى[38].

رغم سماحة خلقه وميله إلى التواضع والتسامح إلا أن كايوس لم يستطع أن ينسى مقتل أخيه تيبيريوس بتلك الطريقة الوحشية ، وطرح في خطابه الأول بعد إنتخابه مشروعي قانونين لا يخلوان من روح الإنتقام ، ينص الأول على أن كل نقيب للعامة يقال من منصبه من طرف الشعب لا يمكنه أن يشغل بعد ذلك أي منصب حكومي ، أما الثاني فينص على أن كل قنصل أو نقيب يعاقب مواطن روماني دون إعطائه حق التظلم أمام محاكم الشعب يحال إلى المحاكمه وكان يقصد بالقانون الأول أكتافيوس الذي عزله أخوه تيبيريوس جراكوس وبالقانون الثاني بوبيليوس (Popilius) الذي كان بريتورا وأثناء بريتوريته عاقب ونفى أصدقاء تيبيريوس. و دون إنتظار المحاكمة رحل

بوبيليوس من إيطاليا ، أما بالنسبة لأكتافيوس فقد تراجع كايوس عن ذلك القانون وسحبه نزولا عند رغبة والدته كورنيلي (Cornélie) بالعفو عن أكتافيوس وتقبل الشعب بفرح ذلك العفو [39] .

خلال تربيونته لسنة 123 ق م قام كايوس جراكوس بإقتراح وسن عدة قوانين تركزت أهمها في مواضيع ثلاث: التموين بالقمح، القانون الزراعي وإصلاح القضاء. ففي ما يخص التموين بالقمح، فقد ذكر أبيانوس أن كايوس سن قانونا يتلقى بموجبه كل فرد من العامة شهريا وعلى حساب الخزينة العمومية مقدارا من القمح كنوع من الهبة إلى أجل غير محدد.[40] أما بقية المصادر مثل بلوتارخوس وغيره فقد أجمعت على أنه سن قانونا يحدد سعراً منخفضاً للقمح الذي يعطى ويوزع على الفقراء، وعُرِفَ ذلك القانون بقانون الغلال، حيث أن سعر القمح كان مضطربا في روما بسبب المضاربة والتلاعب فأراد كايوس أن يعمل على إستقرار سعر القمح وتمكين السواد الأعظم من دهماء روما من الحصول عليه، وذلك بتكليف الدولة بدفع الفارق في السعر مهما زاد [41]. وقد إستوحى كايوس هذه الفكرة من المبادئ العامة المسَلَّمِ بها في المدن الهيلينيستية القديمة كأثينا (Athènes) في القرن الخامس ق م والأسكندرية تحت حكم البطالمة حيث كانت الدولة مسؤولة عن رفاهية الفقراء من المواطنين [42] . وإستكمالا لمشروع الغلال هذا حرص كايوس على بناء مخازن على شكل صوامع لتخزين المحصول من القمح فاسحا الطريق لتشغيل عدد كبير من العاملين لبناء تلك الصوامع.

أما فيما يخص الإصلاح الزراعي فقد إستصدر قانونا يُعْنَى بإنشاء عدد من المستعمرات في إيطاليا وتوزيع أراضي تلك المستعمرات التي كانت تعود أصلا للدولة على الموطنين الفقراء الذين تم إرسالهم إلى هناك [43]، ومن المستعمرات التي يرجح أنه قام بتأسيسها إثنان هما نبتونيا (Neptunia) بالقرب من تارنتوم (Tarentum) ومينيرڤيا (Minervia) بالقرب من سكيلاكيوم (Scylacium) كما يُرَجَّحُ أيضا أنه أختير لتعمير تلك المستوطنات إلى جانب الفقراء من الرومان مواطنون أخرون من ذوي رأس المال لتنشيط الصناعة والتجارة هناك [44].

وتتمة للإصلاح في المجال الزراعي فقد إستصدر كايوس قانونا يقضي بإنشاء شبكة من الطرق الريفية في مختلف أنحاء إيطاليا، بالإضافة إلى تحسين الطرق الريفية القديمة. وقد أسهم بلوتارخوس في شرح وإعطاء مواصفات تلك الطرق التي أولاها كايوس عناية كبيرة، وخلال إنشاء تلك المسالك وبناء مخازن الغلال وقف كايوس شخصيا على متابعة الأعمال ومسايرتها بشكل رائع، وكان إعجاب الشعب يزداد به وهو يراه محاطا بالمقاولين والحرفيين والسفراء والموظفين الحكوميين وحتى الجنود و رجال الأدب ، وكان يكلمهم بهدوء دون أن ينقص ذلك من قيمته في شيء وهو يخاطب كلا منهم بخطاب يتناسب ومستواه، وبلغة يفهمها الجميع [45].

أما فيما يخص الجانب القضائي فيروي أبيانوس أنه من أجل استمالة فئة الفرسان، أعطاهم وظائف قضائية كانت للنبلاء الذين غرقوا في الأعمال المخزية والشائنة من خلال إخضاع وظائفهم للبيع والشراء [46]، في إشارة إلى حادثة تبرئة حاكم آسيا من

تهمة الرشوة سنة 126 ق م رغم توافر الأدلة التي تدينه ، وبذلك تحولت السلطة القضائية العليا من النبلاء و أعضاء مجلس الشيوخ لصالح الشعب ولصالح طبقة الفرسان ، هذا بالإضافة إلى أنه خص أفراد طبقة الفرسان بجمع الضرائب في مقاطعة آسيا التي أُنْشِأَتْ إثرالثورة التي تلت وفاة ملكها أتالوس.[47] ويذكر كذلك بلوتارخوس أنه أضاف إلى عدد الشيوخ الثلاثمائة الذين يشغلون مناصب قضاة في المحاكم الرومانيية عددا مُمَاثِلاً من الفرسان الرومان[48]، وبذلك أصبح لطبقة الفرسان كيانا قويا تنافس به النبلاء ومع تحالفها مع محامي الشعب أصبح وضع الشيوخ محرجا .

وقبل أن نسترسل فيما قام به كايوس من أعمال، يمكننا أن نطرح تساؤلات عن تلك الإنجازات التي قام بها وما سَنَّهُ من قوانين، هل كانت تصب في صالح مشاريعه الإصلاحية؟ أم على العكس كانت ضد ما كان يريده ويطمح إليه؟

أما القمح الذي حدد كايوس سعره وخصه بدعم الخزينة لصالح الفقراء من مواطني روما، والذي كان يرمي من خلاله إلى تثبيت قدميه وزيادة شعبيته بين عامة روما، وفي نفس الوقت يضعف العلاقة بينهم وبين الإرستقراطيين [49] الذين كان كل واحد منهم يطعم عددا من العامة و يتخذهم سندا له وحَرَسًا و حماية، فقد أوهن كايوس بذلك من عزائم العامة وأفسد طباعهم وأصبحوا أكثر تواكلا وكسلا وإستهتارا مما شجعهم بعد ذلك على إحداث المزيد من الشغب والفوضى، وهيأ الأمر لتصبح الدولة هي التي تأخذ على عاتقها وبصفه كليه إطعام جمهور المدينة . هذا بالإضافة إلى جعل العاصمة روما

مقصدا للكثيرين الذين جاؤوا من الريف فأصبحت الحركة عكس ما يرمي إليه مشروع كايوس الزراعي وكذلك مشروع أخيه تيبيريوس من قبل[50] .

أما فيما يخص اَلْمُضِيَ في قانون الأرض أوالإصلاح الزراعي من حيث إنشاء المستوطنات في إيطاليا وشق الطرق الفلاحية، فلا شك في أن كايوس جراكوس كان يعمل على تجسيد مشروع مجتمع ينهض بالأمة الرومانية التي أوشك التطاحن بين طبقاتها أن يهلكها وخص بهذا المشروع طبقة العوام التي كانت مستودع الدولة الرومانية من الرجال ، وبالنسبة لكايوس وكذلك لأخيه تيبيريوس فإن المحافظة على تلك الطبقة من العوام يعني المحافظة على الدولة ككل ولكن بُعْدَ النظر وقِصَرَهُ هو ما لم يتفق فيه كايوس مع تلك الطبقة من عوام روما ومواطنيها وكذلك مع طبقة النبلاء التي ظلت و لأمد طويل تدير شؤون الحكم في روما، فبعد كل ما قدمه كايوس جراكوس للمواطنين الرومان العوام إستطاع السيناتو استقطابهم حيث أنه ما إن قام بالتلويح لهم بمشاريع أكثر إغراء من المشروع الزراعي الذي جاء به هو، حتى تخلوا عنه وتركوه يواجه مصيره وهذا ما سَتُفْضِي إليه الأحداث القادمة .

و بخصوص القضاء وطبقة الفرسان فقد مكن كايوس تلك الطبقة من الإستئثار بسلطة القضاء ليحاصر بذلك الأرستقراطين النبلاء، و لكنه في الوقت نفسه ومن خلال تكليف أفراد طبقة الفرسان بالإشراف على جمع الضرائب ، وهي طبقة مكونة أصلا من رجال أعمال ذوو رؤوس أموال، فكأنه بذلك يسلطهم على الملاك وأصحاب الضياع والأراضي الزراعية لإبتزازهم ، ولا يمكن لشيء أن يردهم إذا طمعوا في أكثر من حقوقهم

كون سلطة القضاء بيدهم، وهو ما وقع فعلا بعد ذلك حيث إصطدم جباة الضرائب الجشعين من الفرسان مع الولاة الشرفاء الذين لم يرضوا أن يستغل هؤلاء الجباة حاجة الأهالي وتسليط عليهم المزيد من الغرامات كونهم لا يهتمون إلا بإستثمار أموالهم و زيادتها، ومما زاد في تفاقم الوضع هو أن الإصلاحات القضائية التي قام بها كايوس على مستوى محكمه الإبتزاز تمنع أن يخضع محلفوا تلك المحكمة الذين صاروا من الفرسان للمحاكمة من تهمة الرشوة والفساد، كما كان معمولا به سابقا وهذا ما زاد في تعسف وإستغلال جباة الضرائب كونهم مطمئنين أن الولاة لن يجرؤوا على التعرض لهم، إما مخافة الإصطدام بهم أو رغبه في التواطؤ معهم.[51]

زاد تعلق الشعب بكايوس جراكوس من خلال منجزاته وقوانينه إبان تربيونته سنة 123 ق م و أصروا على إنتخابه مرة أخرى وكذلك إنتخاب من رشحه كايوس للقنصلية فانيوس سترابو (Caius Fannius Strabo) في ساحة مارس بأغلبية كبيرة، [52] لكن شيوخ هذه السنة كانوا مستعدين له أيَّما استعداد و استطاعوا بقوتهم وقوة إغرائهم جذب التربيون ليڤيوس دراسوس (Livius Drusus) إلى جانبهم وتحريضه على معارضة مشاريع كايوس، بل وأكثر من ذلك طرح مشاريع براقة من شأنها أن تغوي الشعب وتبعده عن كايوس جراكوس ومشاريعه[53] .

طرح كايوس مشاريع قوانين تقضي بإنشاء مستوطنتين في كل من تارنت (Tarente) وكابو (Capoue) ومنح حق المدنية أو الجنسية للشعب اللاتيني .و كان كايوس يفكرمن خلال إعطاء حق التصويت النيابي للحلفاء اللاتين مع منحهم حق

المواطنة في ضمان شعبية كافية [54] لتمريرمشاريعه، لكن هذا المطلب لم يرق للسيناتو ولا لمواطني روما من العامة ، أما السيناتو فكان لا يرى سببا في رفع من كانوا بالأمس رعايا له إلى درجة مواطنين يتساوون في الحقوق مع الرومان ، وأما العامة فكانوا يرون أن اللاتين إذا تحصلوا على حق الجنسية سيصبحون منافسين لهم في الخيرات من الأراضي والمشاريع التي يطرحها كايوس وغيره ، وهنا تقاطعت مصالح النبلاء مع مصالح العامة وبدأ حلف كايوس مع العوام ينفك شيئا فشيئا .

بالإضافة إلى ما طرحه كايوس من مشاريع قوانين فرض إيرادا سنويا على حساب الخزينة العمومية و توزيع أراض على الفقراء من المواطنين مما جعل السيناتو يتهمه برشوة الشعب ،[55] و طُرِحَ كبديل لمشاريع كايوس عن طريق المحامي ليڤيوس دراسوس الذي إعترض على تلك المشاريع ، مشروع قانون يقضي بإنشاء 12 مستوطنة في إيطاليا في كل واحدة منها ثلاثة آلاف من الأهالي ، كما طرح دراسوس مشروع قانون آخر يمنع من خلاله ضرب الجنود اللاتين بالصولجان، وحضيت هذه المشاريع بقبول قوي من السيناتو ودعم منه، وكذلك بدأت تجد طريقها إلى قلوب العامة من الرومان الذين بدأوا يؤمنون بالملموس والأكيد، أي الذي إتفق عليه السيناتو و دراسوس و يبتعدون عن مشاريع كايوس التي تلقى معارضة صارمة من دراسوس زميل كايوس في التربونية و بالتالي صارت صعبة المنال والتنفيذ[56] .

كانت السنة الثانية من تربيونية كايوس جراكوس ذات أحداث مختلفة تماما عن سنته الأولى، فبالإضافة إلى بدء تدني شعبيته قُدِّرَ له أن يتغيب عن روما ليترك الساحة

فارغة لخوصمه و ذلك بعد إقتراح و سن قانون روبريوس (Rubrius) وهو زميل كايوس في التربونية و بإيعاز منه، ويقضي هذا القانون بتأسيس مستوطنة في قرطاجة، وكُلِّفَ كايوس جراكوس وزميله فيلقيوس فلاكوس الذي سبق و أن شغل منصب قنصل سنة 125ق م بالإشراف على تنفيذ المشروع الذي سيخصص لتوطين ستة آلاف من المواطنين الرومان.[57]

إستغل خصوم كايوس غيابه و روجوا عنه الإشاعات والأراجيف يتهمونه فيها بأنه أضاف عددا من المستوطنين من غيرالمواطنين الرومان لسكان تلك المستوطنة، وكذلك ظهور إشارات للشؤم صاحبت إفتتاح تلك المستعمرة الملعونة أصلا عندهم، وأن الرياح العاصفة الصادرة عن غضب الآلهة قد إنتزعت بعض علامات المستوطنة و نزغ الذئاب بعضها الأخر. [58]

وما إن عاد كايوس إلى روما بعد حوالي سبعين يوما حتى وجد الأوضاع قد تغيرت وشعبيته تدنت إلى الحضيض. وجاء موعد الإنتخابات التربيونية لسنة 121 ق م ولم يستطع كايوس الفوز فيها. ومع نهاية سنة 122 ق م وجد كايوس نفسه مواطنا عاديا مجردا من كل حصانة و أنتخب أوبيميوس لوكيوس (Lucius Opimius) وهو أحد رجال الحزب الأرسقراطي كقنصل لسنة 121 ق م والذي كان يمقت كلا من كايوس جراكوس وفيلقيوس فلاكوس و نهجهما الإصلاحي . و صار بذلك التحالف وثيقا بين السيناتو و القنصل أوبيميوس ، وأصبح الوضع حرجا بالنسبة لكايوس ومن معه من أنصار إلى درجة التحريض وتوتير الأوضاع بغرض دفع أَحَدٍ لقتل كايوس أو قتل

فيلقيوس فلاكوس و كان الحادث الحاسم الذي إستفز كلا من كايوس وفيلقيوس هو ماطرحه أحد النقباء وبإيعاز من السيناتو لمشروع يقضي بإلغاء قانون روبريوس الخاص بإنشاء مستعرة قرطاجة.[59] وكما يروي أبيانوس أن كايوس وفلاكوس رفضا إبعادهما عن هذا المشروع مكذبين ما ادعاه السيناتو من إشاعات حول تلك المستوطنة، وانحاز إليهم الشجعان من العامة وذهبوا إلى الكابيتول مزودين بأسلحة وسيوف أين سيجتمعون ويحددون مصير تلك المستعمرة[60].

أما بلوتارخوس فيضيف أنه في الوقت الذي إجتمع الجميع في الكابيتول في اليوم المقرر لإلغاء مشاريع كايوس جراكوس، كان الجو مشحونا وتجرأ أحد مساعدي أوبيميوس يدعى كانتوس أنتيليوس (Quintus Antyllius) على مخاطبة فيلقيوس فلاكوس بلهجة مُشِينَةٍ فيها إحتقار و إزدراء له مما دفع بأنصار كايوس إلى قتله في تلك اللحظة، وهذا ما أعطى الذريعة لأوبيميوس للفتك بعد ذلك بكل من كايوس وفلاكوس وأنصارهما . إجتمع السيناتو في اليوم الموالي وكانت تلك المرة الأولى في تاريخ الجمهورية التي يصدر فيها مجلس الشيوخ قراره الذي عرف بإسم قرار السيناتو النهائي والأخير(Senatus consultum ultimum) والذي يعتبر بمثابة إعلان للأحكام العرفية، وهو يفيد بتكليف القنصل باتخاذ ما يراه مناسبا لحماية الدولة من الخطر المحدق بها[61].

كان الأمر واضحا جليا في رغبة السيناتو والقنصل أوبيميوس في التخلص نهائيا من دعاة الإصلاح، كايوس جراكوس وفيلقيوس فلاكوس. قررفيلفيوس المواجهة وإستعد

للدفاع عن نفسه جامعا مِنْ حوله كوكبة معتبرة من الناس فتوجه إلى تمثال أبيه ووقف أمامه و كأنه يودعه ثم خرج بعد ذلك إلى بيته و هو يذرف الدمع ويخرج أنفاسا حارة وعميقة، وقضى الكثير من الرومان الليلة قرب بيت كايوس تضامنا معه لكن دون أن يصل هذا التضامن إلى الدفاع عنه والمخاطرة من أجله رغم ما قدمه لهم من مشاريع وإنجازات [62] .

في الصباح خرج فيلقيوس فلاكوس مع أنصاره المسلحين إلى تل الإڤنين (Mont Aventin) وتحصن هناك، ولكنه أرسل ولده في طلب الصلح مع أوبيميوس والسيناتو لكن طلبه رُفِضَ وطُلِبَ منه المثلول أمام المحاكمة وتسليم نفسه وإنتظارالحكم الذي يصدر في حقه . كما قوبل نفس الطلب الذي تقدم به كايوس بنفس الرد من السيناتو.

سار أوبيميوس بعدد كبير من المشاة والنبالة لقتال فيلقيوس فلاكوس وتم قتله مع أحد أبنائه وعدد من مناصريه ،أما كايوس جراكوس فلجأ إلى معبد ديان (Diane) مقتنعا بوضع حد لحياته هناك بنفسه، لكن أصدقاءه حتموا عليه أن يفر و ينجو بنفسه، وسرعان ما وصلت قوة من الجنود الرومان ودهمتهم فهرب كايوس عبر جسر سولبيسيوس (Sulbicius) وشغل أصدقاؤه الجنود بالإشتباك معهم إلى أن قُتِلُوا جميعا . لم يكن مع كايوس غير عبده فيلوكراتاس (Philocratès) الذي كان بصحبته حين دخل غابة مقدسة تسمى غابة حوريات فورينا (Furrinae) أين وضع كايوس حدا لحياته طالبا من عبده ڤيلوكراتاس قتله فقتله ثم قتل نفسه بعد ذلك [63] .

لم تنته تلك الفضاعة عند هذا الحد بل تم رمي جثة كل من كايوس جراكوس و فيلقيوس فلاكوس في نهر التبرمع جثث ثلاثة آلاف من أنصارهما تم قتلهم بأمرمن أوبيميوس الذي كان منتشيا بنصره وما قام به من قتل مواطنين دون مصوغ قضائي[64].

وهكذا خسرت روما رجلا من أنبل رجالها وأسماهم أهدافا وأكثرهم نبوغا وتفوقا، ولكنه ورغم موته إستطاع أن يغير المشهد السياسي ولو لفترة وجيزة وبذرا بذور تغيير لم تؤت بثمارها إلا بعد عشرات السنين. فقد إستطاع كايوس جراكوس وإستكمالا لمشاريع أخيه تيبيريوس أن يواجه سطوة السيناتو و يربكها لسنوات عديدة ، كما إستطاع خلق منافس قوي لها من طبقتي العوام، والفرسان و مكن الفرسان من السلطة القضائية التي أقلقت الأرستقراطيين وأزعجتهم . هذا بالإضافة إلى تزويد الفقراء بالقمح من خلال ثبات أسعاره حتى نهاية العهد الجمهوري، وكذلك إستفادة عدد كبير منهم من قطع أرضية وبساتين وزعت عليهم.[65]

الخاتمة:

وفي الأخير ومن خلال ما سبق الحديث عنه من محاولات الإصلاح التي تزعمها الأخوان جراكوس للأوضاع السيئة التي سادت خلال تلك الفترة من عمر الجمهورية الرومانية يمكننا الخروج بالاستنتاجات التالية

بالنسبة لمرحلة تيبيريوس جراكوس فإن نظام الحكم الذي كانت ثلة من النبلاء تديردفته وتستغل من خلاله خيرات الجمهورية كان يدفع بحال البلاد من سيء إلى أسوء، من تضرر طبقة كاملة من المجتمع الروماني كانت هي ذخر الجيش الذي صنع أمجاد تلك الجمهورية، وبالتالي فإن بؤسها وشقاءها كان سيؤدي حتما لمتاعب للدولة ككل وهوالأمرالذي أدركه بعض النبلاء من خلال محاولات الإصلاح التي سبقت جراكوس، لكن السواد الأعظم منهم لم يفهمه مُغَلِّبًا غريزة حب التملك والأنانية والحرص على المصلحة الشخصية.

أنه في تلك الظروف كان لابد من عملية إصلاح تنصف من خلالها الطبقة المتضررة وهو ما نادى به تيبيريوس جراكوس ، ولكن هذا لا يمنعنا من القول بأنه قد أفرط نوعا ما في تجاوزه الأعراف الدستورية، مما أعطى الفرصة لخصومه للوثوب عليه وإنهاء أمره. فأول تلك الأخطاء كان عزل زميله أكتافيوس من التربيونية وهي سابقة لم يسبقه إليها أحد، فنقيب العامة لا يعزل قبل إنتهاء عهدته ولكنه يمكن أن يحاسب بعد إنتهائها، ثم إن تيبيريوس ومن خلال حرصه الشديد على تنفيذ القانون عين نفسه وأخيه كايوس وصهره أبيوس للوقوف على تطبيق ما جاء فيه وهو ما أعطى الصبغة العائلية لهذا القانون، الأمرالذي دفع إلى التشكيك فيه والنيل منه. و ضف إلى ذلك طلب إعادة

إنتخابه مرة أخرى للتربيونية وهو أمر محظور بمقتضى قانون ڤيلليوس لسنة 180ق م واعتراض الأثرياء على ترشيح نفسه كان في الحقيقة فية جانب كبير من الصحة. وأخرأمرهو تدخله الصارخ في السياسة المالية والخارجية للدولة من خلال تخصيص جزء من تركه الملك أتالوس الثالث لتمويل تنفيذ المشروع ويكون بذلك قد أسند للجمعية القبلية مهاما ليست من إختصاصها .

لم تكن الحساسية والمنافسة بين الأسر النبيلة في روما غائبة عن المشهد فعائلة سكيبيو لم تكن على وفاق مع عائلة سمبرونيوس التي ينحدر منها تيبيريوس رغم علاقات المصاهرة التي تجمعهم. غير أن صعود تيبيريوس كسياسي ورجل إصلاح والْتِفاف الكثير من الرومان من حوله جعل الأحقاد تشتد عليه، ولذلك كانت وثبة سكيبيو إيميليانوس عليه قوية وعنيفة وحاسمة.

أما بالنسبة لكايوس جراكوس فيمكننا الحديث في البداية عن أخطاء ارتكبها كايوس كما فعل أخوه من قبل، نذكر منها اعتماده على مجلس القبائل الذي كان متقلبا في قراراته شأنه في ذلك شأن أهواء العامة المتغيرة حسب مصالحها هي الأخرى، فكما أن للنبلاء مصالحهم وطريقتهم الإنتهازية في التعامل مع الأوضاع السياسية، أظهر المشهد السياسي في نهاية حياة كايوس إنتهازية واضحة من العامة الذين بمجرد التلويح لهم بمشاريع كان ظاهرها أفضل من مشاريع كايوس حتى تخلوا عنه و تركوه لمصيره. كما أنهم تعاملوا بكل أنانية مع مطالب أبناء جلدتهم من الإيطاليين واللاتين حين رفع كايوس حق منحهم الجنسية وحقوق المواطنة، ولم يصوتوا على مشروعه متآمرين مع السيناتو في

هذه النقطة بالذات والتي أسفرت بعد عشرات السنين عن حروب إجتماعية سقط فيها آلاف الضحايا من الرومان والإيطاليين و لم تنته إلا بمنحهم ذلك الحق المصادر .

الهوامش:

[1] إبـــراهيم نصـــحي، تـــاريخ الرومـــان، الجـــزء الثـــاني 133-44 ق م، منشـــورات الجامعة الليبية كلية الآداب ، ص 10.

[2] نفسه ، ص 12.

*التربيون هو منصب رسمي ينتخب صاحبه للدفاع عن مصالح الشعب ضد الأرستقراطية ويتمتع في السيناتو بإستخدام حق الإعتراض الڤيتو (حسين الشيخ، الرومان، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية، 1996 ، ص189)

[3] Appien, Guerres Civiles, Texte traduit par Combes-Dounous, Imprimerie des frères Mame, Paris, 1808, Livre I, 7,9.

[4] Ibid, 8.

[5] Plutarque ,Vies des Hommes Illustres, IV , Tiberius et Caius Gracchus, Traduit par Alexis Pieron, Imprimerie de Gustave GRATIOT , Paris, 1853, 182.

[6] Appien, Op.cit, 9.

[7] André Pigagnol , La conquète romaine, Librairie Félix Alcan Saint Germain, Paris, 1927 ,p 304.

[8] Appien, Loc.cit.

[9] André Pigagnol, Op.cit ,p 305.

[10] إبراهيم نصحي ، المرجع السابق ، ص26 .

[11] André Pigagnol, Loc.cit.

[12] Appien, Op.cit, 12.

[13] إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 29.

[14] نفسه ، ص 30.

[15] Appien, Op.cit, 13.

[16] إبراهيم نصحي، المرجع السابق ، ص 32.

[17] عبد اللطيف احمد علي، التاريخ الروماني عصر الثورة من تيبريوس جراكوس إلى أكتافيوس أغسطس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، ص 11.

[18] Appien, Op.cit, 14.

[19] إبراهيم نصحي ، المرجع السابق ،ص 33.

[20] Appien, Loc.cit.

[21] عبد اللطيف أحمد على ، المرجع السابق ، ص 12.

[22] إبراهيم نصحي ، المرجع السابق ، ص 32.

[23] عبد اللطيف أحمد على ، المرجع السابق ، ص13.

[24]Appien, Op.cit,16.

[25] إبراهيم نصحي ، المرجع السابق ، ص 07 .

[26] نفسه، ص 47.

[27] André Pigagnol, Op.cit, p307.

[28] إبراهيم نصحي ، المرجع السابق، ص 50.

**السسترتيوس هي عملة فضية رومانية كانت تساوي 2.5 آس as ثم صارت تساوي 4 آسات، وقد حلت محل الآس البرونزي كوحدة نقدية عند الرومان منذ الحرب البونية الثانية (عبد اللطيف أحمد علي ،المرجع السابق، ص 27)

[29] عبد اللطيف أحمد على ، المرجع السابق، ص ص 27 ،28.

[30] Appien, Op.cit, 21.

[31] إبراهيم نصحي ، المرجع السابق، ص 60.

[32] نفسه.

[33] André Pigagnol, Op.cit, p 307.

[34] Plutarque , Op.cit ,200.

[35] Ibid ,199 .

[36] Plutarque, Op.cit, 202 .

[37] André Pigagnol, Loc.cit.

[38] Plutarque, Loc.cit.

[39] Ibid, 203.

[40] Appien, Op.cit, 21 .

[41] Plutarque , Op.cit, 204.

[42] عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ،ص ص22،23 .

[43] Plutarque , Loc.cit.

[44] عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ، ص 25.

[45] Plutarque , Op.cit, 205,206 .

[46] Appien, Op.cit, 22.

[47] هشام الصفدي ، تاريخ الرومان ، الجزء الأول، بيروت،1967، ص 220.

[48]Plutarque, Op.cit, 204.

[49] عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ، ص 23.

[50] نفسه، ص ص 23، 24 .

[51] نفسه، ص 28.

[52] Plutarque , Op.cit, 207.

[53] Ibid, 208.

[54] Appien, Op.cit, 23.

[55] Plutarque, Op.cit, 208.

[56] Ibid.

[57] Ibid, 209.

[58] عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ، ص 24.

[59] نفسه .

[60] Appien, Op.cit, 24.

[61] عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ،ص ص 24،25.

[62] Plutarque, Op.cit, 213, 214.

[63] André Pigagnol, Op.cit, p 310.

[64] Plutarque, Op.cit, 218.

[65] هشام الصفدي، المرجع السابق، ص 226.